عنوان المحاضرة : ملامح النقد المنهجي

أ-تنوع بيئات نقد الشعر في العصر الأموي

ب-ملامح النقد الأدبي في العصر العباسي

اعداد : أ . م . د . مرتضى عبد النبي الشاوي

دراسات عليا – ماجستير / فرع الأدب / مادة دراسات في النقد العربي القديم

أ-تنوع بيئات نقد الشعر في العصر الأموي

شهد النقد الأدبي في أواخر القرن الأول ازدهاراً ملحوظاً سببه فيما يرى الدارسون : كثرة الشعراء وتعدد البيئات الأدبية وعودة العصبية القبلية وشيوع مجالس الأدب والغناء في الحجز خاصة والأسواق الأدبية في العراق .

ويميز الدارسون ثلاث بيئات أدبية هي بيئة الحجاز وبيئة الشام وبيئة العراق وقد ازدهر في كل بيئة من هذه البيئات غرض أو أكثر من أغراض الشعر العربي .

ففي الحجاز ازدهر شهر الغزل بنوعيه بنوعيه العذري والحسي

يمثل الأول الشعراء العذريون ويمثل النوع الثاني عمر بن أبي ربيعة وقد أزدهر تبعاً لذلك نقد هذا النوع من الشعر ووضعت له أسس ومعايير .

وازدهر في الشام شعر المدح بحكم وجود الخلافة فيها وكان وحده كافياً لأن يستقطب البلاط الأموي الشعراء .

وكان الشعر ينشد في مجالس الخلفاء والامراء ويستمع إليه وتنتقد معانيه .

وازدهر في العراق شعر الفخر وهو شكل من اشكال المدح والهجاء ودار النقد حول هذين الغرضين .

اذن كان الأدب في الحجاز أكبر مظهر له الغزل والنقد يتبعه والأدب في العراق أكبر مظهر له الفخر والهجاء والنقد يتبعه فالشام أكبر مظهر لأدبه هو المديح .

حيث يكون الشعر يكون نقد الشعر وقد أزدهر الشعر في العصر الأموي وارتقى لأسباب منها :

١-ازدهار الشعر الاسلامي وأوجه من خلال شعراء شبوا كلهم في الاسلام وعاشوا عيشة اسلامية وكان هؤلاء الشعراء من اقطار مختلفة ومن بيئات مختلفة ومن نزعات سياسية مختلفة ومن مذاهب أدبية مختلفة .

٢-كثرة بيئات النقد في البادية والحواضر الاسلامية : الحجاز والعراق والشام

٣-عودة العصبية القبلية الى عهدها الجاهلي أو أشد وقويت الخصومة بين الشعراء وفشا التهاجي (الهجاء) بينهم وأمد بنو أمية ذلك باللهب والوقود وزاده اشتعالا ما تأصل في نفوس العرب من حب الفخر والمباهاة .

٤-شيوع الغناء في الحجاز خاصة .

المقاييس النقدية التي استخدمت في البيئات الثلاث :

أولاً : الإعجاب ببيت شعر أو ببيتين

في الحجاز : سئل كثير عن أشعر الناس ؟ فقال هو الذي يقول :

وآثرت ادلاصي على نيل حرة هضيم الحشا حسانة المتجرد

تفرق بالمدري اثيثا كأنه على واضح الذفرى أسيل المقلد

والبيتان للحطيئة .

وفي العراق روي أن الفرزدق قدم الكوفة ومر بمسجد لبني أقصر وعليه رجل ينشد قول لبيد فيه :

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجد منونها أقلامها

فسجد الفرزدق فقيل : ما هذا يا أبا فراس ؟ فقال : أنتم تعرفون سجدة القرآن وأنا أعرف سجدة الشعر .

ثانيا : المفاضلة وكانت على نوعين :

أ- تفضيل شاعر بغرض أو أكثر

في الشام سئل الأخطل مرة عن أشعر الناس فقال : الأعشى لأنّه إذا مدح رفع وإذا هجا وضع ، ثم طرفة .

ب-تفضيل بين قولين أو أكثر

في العراق ومما أدرك على ذي الرمة قوله في وصف ناقته :

تصغي إذا شدها بالكور جانحة حتى إذا ما استوى في غرزها تثب

وسمعه أعرابي ينشده فقال : صرع والله الرجل إلا قلت كما قال عمك الراعي :

وواضعة خدها للزما ن فالخلد منها له أصغر

ولا تعجل المرء عند الركو ب وهي بركبته أبصر

وهي إذا قام في غرزها كمثل السفينة أو أوقر

ثالثاً : النقد والأخلاق

نجد مثلا في نقد العراق في حكم واحد على شعر أو شاعر من ذلك أنه قيل للفرزدق : أي بيت قالته العرب أحكم قال : ما اشتمل على مثلين يستغني في التمثيل بكل واحد منهمنا على حدته عن صاحبه ..قال ثم أنشد قول امريء القيس :

الله أنجح ما طلبت به والبر خير حقيبة الرجل

رابعاً : عيوب المعاني وهي كثيرة ومتنوعة منها :

أ-مجافة الذوق

في الشام عندما قال جرير مشيراً الى عبد الملك بن مروان :

هذا ابن عمي في دمشق خليفة لو شئت ساقكم إليَّ قطينا

قال عبد الملك : جعلتني شرطياً أما لو قلت : لو شاء ساقكم إليَّ قطينا لسقتهم إليك عن آخرهم .

ب-عدم توفر الجودة المثالية ويراد بها منتهى الجودة :

في العراق فحين أنشد عمر بن أبي ربيعة قوله :

بينما ينعتنني أبصرنني دون قيد الميل يعدو بي الأغر

قالت الكبرى : أتعرفون الفتى ؟ قالت الوسطى : نعم هذا عمر

قال الصغرى وقد تيمتها : قد عرفناه وهل يخفى القمر ؟

قال له ابن عتيق : أنت لم تنسب بهن وانما نسبت بنفسك وانما كان ينبغي لك أن تقول : قلت لها فقالت لي فوضعت خدي فوطئت عليه .

ب-ملامح النقد الأدبي في العصر العباسي

خطا النقد الأدبي في العصر العباسي خطوات واسعة وتميز على نحو واضح مما كان عليه في العصور السابقة وذلك للأسباب الآتية :

١-تأثره بما شهده من نهضة واسعة شملت جوانب الحياة جميعها .

تأثره بحركة التجديد في الشعر العربي وما أثارته من حوارات نقدية حول القديم والمحدث من الشعر آنذاك .

٢-تأثر بحركة التجديد في الشعر العربي وما أثارته من حوارات نقدية حول القديم والمحدث من الشعر آنذاك .

وحركات التجديد هي محاولات بعض الشعراء التجديد في شكل القصيدة العربية أو مضمونها أو أسلوبها .

٣-توسع آفاقه من اطلاع كثير من النقاد على الثقافات : الهندية والفارسية واليونانية

لقد أصبح النقد في العصر العباسي نقداً منهجياً أي له قواعده وأصوله العلمية التي يقاس بها .

ألفت كتب نقدية وتنوعت لآراء النقاد منها من مثل :

١-طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (ت ٢٣٢هـ)

٢-البيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)

٣-الشعر والشعراء لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)

٤-عيار الشعر لابن طباطبا (ت ٣٢٢هـ)

٥-نقد الشعر لقدامة بن جعفر (ت ٣٢٧ هـ)

٦-الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي (ت ٣٧٠هـ)

٧-العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ)

٨-دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) ....وغيرهم ..

تناول النقد العباسي مجموعة من أهمّ القضايا النقدية العامة :

أولاً : الفحولة الشعرية

تعنى الفحولة الشعرية قدرة الشاعر الفنية وتميزّه وقد نالت هذه القضية اهتمام النقاد في العصر العباسي ورأوا لا بد للشاعر حتى الى الفحولة الشعرية من بعض الوسائل منها : حفظ أشعار العرب وروايتها وامتلاك ثروة لغوية واسعة تمكنه من طرق المعاني المختلفة والالمام بمناقب القبائل ومثاليها ليضمنها في شعره بمدح أو ذم .

أما أهمّ المعايير التي يحكم بها للشاعر بفحولته لدى النقاد العباسيين فهي :

١-**جودة الشعر** : يقدم الشاعر لذي يتصف بالجودة على الشاعر الذي يكون دونه في ذلك ضمن مقاييس وضعها المقاد لجودة الشعر منها : جزالة اللفظ والسبق الى المعاني وحسن التصوير والتشبيه

٢-**تعدد الاغراض** : يفضل الشاعر المتعدد الأغراض الشعرية على الشاعر المحدود الاغراض ومن ذلك أن النقاد قدموا كثير عزة على جميل بثينة لتفوقه عليه في الأغراض . وقال ابن سلام الجمحي عن الشاعر الأعشى (وقال أصحاب الأعشى : هو أكثرهم (أي الشعراء) مدحاً وهجاء وفخراً ووصفاً ، كل ذلك عنده))

٣-وفرة القصائد الطوال : يقدم الشاعر ذو القصائد الطوال ومن ذلك أنّ الأصمعي حين سئل عن الشاعر الجاهلي الحادرة أجاب : ((لو كان قال خمس قصائد مثل قصيدته لكان فحلاً))

وقصيدته التي مطلعها :

بكرت سميّة بكرةً فتمتّعِ وغدت غدوّ مفارقٍ لم يرتع

ثانياً : نظرية النظم

أورد عبد القاهر الجرجاني فكرة النظم في كتابه (دلائل الاعجاز) فهو يرى أنّ اللفظة المفردة لا قيمة لها في ذاتها ولا مزية في دلالتها وانما تكون لها مزية حينما تنتظم مع غيرها من الالفاظ في جمل أو عبارات ومن ثم يتلاءم معناها مع معاني الألفاظ التي تنتظم معها أي إنّ الألفاظ لا تتفاضل إلا إذا اندرجت في سياق من التعبير فاللفظة قد تكون حسنة في سياق ما لكنها موحشة ثقيلة على النفس في سياق آخر ، فلا فضل للألفاظ مفردة خارج السياق .

يرى عبد القاهر الجرجاني أن النظم (تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض)

وهو يرى أنّ من النظم توخي معاني النحو والمقصود مراعاة قواعد اللغة وأعرافها ويرى أيضا أنّ الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من مقتضيات النظم لأنه لا يتصور أن يدخل شيء منها في الكلام دون أن يكون مرتبطاً بالسياق الذي ورد فيه فإذا قلنا في لفظ (اشتعل) من قوله (واشتعل الرأس شيباً) إنّها في أعلى المرتبة من الفصاحة لم نوجب تلك الفصاحة لها وحدها ولكن موصولاً بها الرأس معرّفاً بالألف واللام ومقروناً إليهما الشيب منكراً منصوباً فليست الفصاحة إذن صفة للفظ (اشتعل) خارج هذه الآية وانما داخل السياق مع غيرها من الكلمات وبما تتطلبه قواعد علم النحو .

ثالثاً : الطبع والصنعة

تناول العباسيون قضية الطبع والصنعة عند نظرتهم الى الشاعر والكاتب بغية اصدار حكم بالقيمة عليهما فوجدوا الادباء قسمين :

١-أدباء الطبع (السليقة) هم يملكون الموهبة ولا يبالغون في مراجعات نصوصهم

٢-أدباء الصنعة هم من يملكون الموهبة ويراجعون ما نظموا وألفوا من أجل الارتقاء بنتاجهم الأدبي

رابعاً : حوافز الابداع الأدبي

تحدث النقاد العباسيون عن العوامل التي تعين الادباء على نظم الشعر وتأليف الخطب للوصول الى النتاج الأدبي الجيد ومنها :

١-البواعث النفسية : ومن ذلك ما قاله أبو تمام موصياً البحتري بما يعينه على نظم الشعر الجيد (تخير الأوقات وأنت قليل الهموم صفر من الغموم واعلم أن العادة في الأوقات أن يقصد الانسان لتأليف شيء أو حفظه في وقت السحر وذلك أن النفس قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم)

٢-السعي الى تحصيل المعارف المتنوعة من مثل معرفة أنساب الناس والبراعة في علم النحو .

٣-الاكثار من مماسة التأليف الأدبي

خامساً : اللفظ والمعنى

كثر الحديث عن قضية اللفظ والمعنى في العصر العباسي :

١-قد رأى الجاحظ مثلا أن القيمة الجمالية والفنية في النص تكمن في ألفاظه أكثر من معانيه لأن المعاني معروفة ومشتركة بين الأدباء أما الالفاظ فتختلف في مستوها وقيمتها من أديب إلى آخر بحسب أسلوب ألأديب وقدرته وثقافته اللغوية يقول الجاحظ (المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني وإنّما الشأن في اقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك) ولا يعني الاهتمام بالصياغة

اللفظية لدى الجاحظ أنه أهمل المعنى تماما بل أنه أكد ضرورة أن يكون المعنى شريفاً كريما تقبله النفوس وتنجذب إليه فاذا اجتمع في الادب شرف المعنى وبلاغة اللفظ كان أجود وأكثر قبولا لدى المتلقي .

٢-وقد تحدث ابن قتيبة عن اللفظ والمعنى مجتمعين في الشعر ووضع لهما أربعة أقسام هي :

أ-ضرب حسن لفظه وجاد معناه

ب-ضرب حسن لفظه وحلا فاذا فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى

ج-ضرب جاد معناه وقصرت ألفاظه .

د-ضرب تأخر معناه وتأخر لفظه

٣-ويرى ابن طباطبا العلاقة بين اللفظ والمعنى عل نحو العلاقة بين الروح والجسد .

٤-وسار ابن رشيق القيرواني على نهج ابن طباطبا فعد اللفظ والمعنى شيئا واحدا ولا يمكن الفصل بينهما بحال يقول (اللفظ جسم وروحه المعنى وارتباطه كارتباط الروح بالجسد يضعف بضعفه ويقوى بقوته)

فالمعنى الجميل الرصين يحتاج الى ابرازه في عبارة جميلة مؤثرة .

سادساً : السرقات الشعرية

شغلت قضية السرقات الشعرية النقاد كثيراً إذ إنها تمس فنية الشاعر ومدى أصالته وابتكاره في التعبير فتوسع النقاد العباسيون فيها .

ووقف النقاد على عض مسألة أخذ شاعر من غيره وعدوا بعض أشكاله مذموماً وبعضها محموداً مراعين في ذلك فكرة أن الشاعر قد يتأثر بشاعر سابق عليه أو معاصر له وغايتهم في هذه القضية دقة الحكم على الشاعر فإن كان أخذه محمودا عدوه مجدداً مبدعا وإن كان أخذه مذموما حكم على شعره بالرداءة ومن ثم حددوا صوراً للأخذ المحمود وغيرها للأخذ المذموم

ومن صور الأخذ المحمود (كشف المعنى ، النقل ، العقد)

ومن صور الأخذ المذموم (الإغارة ، و المسخ) ويمكن معرفة هذه المصطلحات في كتب البلاغة والنقد ولا سيما علم البديع باب المحسنات المعنوية (السرقات الشعرية)

سابعاً : الصدق والكذب في الشعر

تباينت آراء النقاد العباسيين في مفهومي : الصدق والكذب في الشعر وسارت آراؤهم على مبدأين هما باختصار :

١-أعذب الشعر أكذبه

أجاز اصحاب هذا المبدأ عدم مطابقة الصورة الأدبية لما يناسبها في الواقع وعدم التقيد بمعايير العقل والمنطق .

ومن ذلك قول البحتري مادحا الشيب :

والصارم المصقول أحن حالة يوم الوغى من صارم لم يصقل

إذ خالف البحتري هنا لواقع وحدود المنطق حين مدح الشيب وهو عرفاً علامة على التقدم في السن فشبهه من ناحية اللون بالسيف الذي يصقل فيكون أبيض اللون قاطعاً فاعلاً في ساحة المعركة .

ووضع أصحاب هذا المبدأ للكذب حدوداً لا يتخطاها الشاعر فأخذوا مثلا على المتنبي قوله مادحاً :

كفى بجسمي نحولاً أنّني رجل لولا مخاطبتي إيّاك لم ترني

إذ تجاز المتنبي حدود الخيل المعقول ورأوا في مثل هذا البيت إفراطاً خارجاً على الحقيقة .

لذا دعا النقاد في هذا السياق الى استخدام أدوات تقرب المبالغة الى نفس المتلقي فاستحسنوا أن يستخدم الشاعر ألفاظاً مثل (لو أو يكاد وما جرى مجراهما) ومن ذلك قول الشاعر مادحاً :

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

فعبّر الشاعر عن عظم كرم الممدوح بمحاولة الجدار إمساك يده وفي هذا مبالغة قربها استخدام اللفظ (يكاد) .

٢-أعذب الشعر أصدقه

والمقصود هنا أن تكون الصورة معبرة عن تجربة شعورية حقيقية ويستخدم فيها الشاعر الخيال المقبول القريب التناول من غير الخروج على حدود المنطلق ومثل ذلك قول ليلى الأخيلية :

قومٌ رباط الخيل وسط بيوتهم وأسنة زرق يخلن نجوما

إذ صورت ليلى الخيول المجتمعة وسط البيوت بالليل والرماح الزرقاء بنجوم الليل وهي صورة مقبولة لا خروج فيها على حدود المنطلق .